

المؤسسات الدينية في منطقة القبائل مقاربة سوسيوانثروبولوجية الزوايا المرابطية نموذجاً

بقلم الأستاذ: نقروش حميد
جامعة بجاية

مقدمة:

مهمة لفهم الرهانات الموجودة داخل كل مجتمع.

يبقى هذا العرض محاولة بسيطة للوقوف على أشكال الممارسة الدينية في منطقة القبائل، أو الإجابة على السؤال التالي: كيف مورس ويمارس الفعل الديني في المنطقة؟

فالفعل الديني في منطقة القبائل قد مورس من طرف فئتين من الأفراد متميزتين، المرابطون من جهة وأسياد الطرق من جهة أخرى، وانحصرت نشاط الفئتين في الزوايا كمؤسسات دينية متعددة الوظائف، كثيراً ما ساهمت في الحفاظ على ديناميكية الفعل الديني في المنطقة.

وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية أن نسلط الضوء على هذه المؤسسة المتميزة، التي كثيراً ما ترتبط

يحتل الدين مكانة عامة في ثقافة كل جماعة اجتماعية، حيث يشكل أداة تسمح للأفراد لتقديم تفسيرات وتأويلات عن العالم. كل حضارة أو جماعة اجتماعية تحتوي على نظام ديني متكون من قواعد ورموز ومعتقدات، نظام تحركه تعدد أشكال الممارسات الاجتماعية للدين.

قراءتنا المتعلقة بالفعل الديني أو الظاهرة الدينية، سمحت لنا باستخلاص أن الرابط الاجتماعي تابع للرابط الديني، هذا الرابط الذي لا يمكن أن يتحرك خارج أو باستقلالية عن تأثير هذا المحرك الذي يغذي القطاعات الأخرى، الاقتصادية، الثقافية والسياسية، إذن دراسة المكانة التي يحتلها الدين في حياة الجماعات الاجتماعية والأفراد أكثر من

بشخصية ورعية، يسمى بالمرابط من خلال التطرق إلى تعدد معانيها، نشأتها وتطورها، أنواعها ومختلف أدوارها وتأثيراتها في المنطقة، مع الإشارة إلى نموذج لزواية مرابطة سيدي منصور بتميزارت.

1 - تعريف الزوايا:

يقصد بالزواية المسجد غير الجامع وجمعها زوايا. واصطلاحا محل تثقيب العقول دينيا وأدبيا، وتكون مسماة باسم أحد المرابطين على اصطلاح المغاربة⁽¹⁾. والزواية هذه الكلمة العربية التي تعني الركن بالمفهوم الأدبي، كما تشير إلى المكان الدائم والمقدس أين يجتمع أتباع طريقة صوفية ويشكلون أخوية دينية⁽²⁾.

وفي الأصل هي ركن البناء كانت تطلق على بادئ على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو على المصلى، ولا يزال للكلمة هذا المعنى عند المسلمين في الشرق، ذلك لأنهم لا يفرقون بينها وبين المسجد الذي يفوقها شأنًا وهو يعرف أيضا بالجامع، على أن مصطلح زاوية ظل محتفظا في شمال إفريقيا بمعنى أكثر شمولًا من ذلك، إذ هو يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية

ذات طابع ديني وهي تشبه الدير أو المدرسة. يعرفها جون مستر «هي شكل من المعابد الكبيرة التي يسيّرُها الشيوخ الكبار «المرابطون»⁽³⁾. في حين أن الزاوية التي أشار إليها جوزيف ديسبرنون: «هي في الأصل مقبرة دفن فيها قديسا ما، فالمتحدرين من هذا الولي يسكنون قرب هذه المقبرة، ويبنون مسجد من الطوب يدرسون فيه ويقومون بصلواتهم»⁽⁴⁾.

بينما يعرفها مالك شبل: «هي مؤسسة دينية (رباط) لها وظيفة إحياء ذكريات موجهة إلى قديس مشهور استسلام الهبات، وفي بعض الأحيان إعادة توزيعها على المحتاجين»⁽⁵⁾. كما حاول ريمون جاموس توضيح أدوار الزاوية من خلال تعريفه: «أن الزاوية هي معبد، ملجأ، حرم أو فضاء ممنوع عن الخارج، من خلاله لا يحدث أي عنف، وكل الأشخاص الذين يلجؤون إليها فإنهم تحت حماية الإله (ضيف الله)، وإذا تعرضنا لهم فإن اللعنة الإلهية ستلاحقنا»⁽⁶⁾.

قد نلتمس بعض الشمولية في تعريف مرسال سيميان، الذي حاول أن يبرز كل وظائف الزاوية بقوله: «هي مسكن المرباط أو رئيس أخوية، وتنشأ بجانب قبر

دراسات

قبة غرفة مخصصة لضيوف الزاوية وللحجاج والمسافرين والطلبة، وقبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم بأن يدفنوا فيها.

تقريبا نفس التعريف الذي قدمه حمدي محمود زقزوق: «هي عبارة عن فناء واسع تحيط به مرافق وهي مسكن الشيخ، ومسجد ومكان مخصص للضيافة، وحجرات لسكن الطلاب ومحل لإيواء اللاجئين إلى الزاوية... وتدور هذه المرافق حول الفناء الذي كان محط رجال القوافل، وبه بئر للسقايا (السقيا) ومخزن للمتاع... ولكل زاوية شيخ يقيم الصلاة ويعلم الأولاد، ويباشر عقود النكاح والصلاة على الجنائز»⁽⁹⁾. إذن فالزوايا الجزائرية تتشكل من مؤسسات دينية للتدريس والإحسانات، فهي هيئات مقدسة نظرا للحضور الرمزي أو الحقيقي لقديس ما، فالحاملة المقدسة مشكلة من ضريح ومعبد لقديس محاطا ببنائات ذات استعمالات اجتماعية أو مدرسية، مثل مركز الحياة الدينية والفكرية ومثل مدرسة الإحسان فإن الزوايا قد شغلت وظائف ذات أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية للطائفة الإسلامية الجزائرية.

المرباط أو شيخ ميت بدرجة من القداسة، فالزاوية في نفس الوقت مدرسة، دير، مأوى، ملجأ للأهالي والمسافرين، ففي الزاوية يجتمع تلاميذ الأخوية للقيام بالصلوات المفروضة ويتفرغون إلى ممارساتهم الروحية»⁽⁷⁾.

وقد ذكر دوماً تعريف جيداً للزاوية المغربية، والظاهر أن هذا التعريف يتفق في الجوهر وما عليه الزاوية في الوقت الحاضر «... كل زاوية تتشكل من مسجد وقبة، التي تغطي قبر المرباط الذي تحمل اسمه، سواء كان محلياً أو قارئاً للقرآن أو محافظاً على تدريس الحصاص، وثالثاً خادماً للمدرسة الابتدائية الأطفال، ومسكناً مخصص للتلاميذ والطلبة الذين يأتون لمزاولة دراستهم، وأخيراً أين يتم استقبال عابري سبيل والمسافرين، وفي بعض الأحيان بمقبرة مخصصة للعائلة المرباطية، فالزاوية هي مدرسة دينية ومأوى مجاني»⁽⁸⁾.

من خلال هذا التعريف، نجد كثير من الأشياء موجودة في الزاوية الحالية، كغرفة الصلاة بها محراب ضريحاً لأحد المرباطين أو ولي من الأشراف، تعلوه

2 - نشأة الزوايا وتطورها:

من المؤسسات التي خصت بالدراسة كظاهرة تربوية ثقافية أو كظاهرة اجتماعية دينية نجد مؤسسة الزاوية: والتي كانت أهم محضن تعليمي في الجزائر وفي المغرب العربي، ولا تزال كذلك إلى يومنا هذا. المعروف أن الأصل في الزوايا هو « الرُّبَط » وهي الثغور التي يربط فيها المجاهدون المسلمون لحراسة حدود الدولة الإسلامية ضد الأعداء، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى من أجل الجهاد في سبيل نشر الإسلام في مختلف بقاع العالم.

وقد نشأت الرُّبَط التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم « الزوايا » في بلاد المغرب الإسلامي منذ العهود الأولى للإسلام، وكذلك يطلق اسم الزاوية على مقر المرباط في حياته أو مماته، والتي يكون قد أسسها بنفسه أو أسست على ضريحه من بعده من طرف الأتباع.

فالزاوية هي جملة أمكنة التعلم والتعبد ظهرت في زمن مبكر جدا مع البعثة المحمدية، وتجلت بوضوح في المدينة المنورة عندما بني المسجد الشريف، ذلكم المسجد الذي شارك في

بنائه الرسول (ﷺ) وصحابته رضوان الله عليهم، وقد اتخذ هذا المكان (المسجد) مكانا للعبادة، ومعهدا للتعليم ودار الصلح والقضاء، وساحة تجتمع فيها الجيوش ومنزلا لاستقبال السفراء والضيوف، ودار لأهل الضيفة الذين لا أهل لهم ولا عيال يضلون فيه نهارا متعلمين ومعلمين، ويبيتون ليالهم فيه متجهدين ومعتكفين وإذا دعا داع للجهاد كانوا في الصف الأول على أتم الاستعداد.

بعد مرور الزمن تطورت هذه المكانة تطورا ملحوظا لصالح الدنيا والدين، والزوايا هي نفسها تطورت وأصبحت تقوم بخدمات جليلة متعددة، يقصدها المسلمون من كل حذب وصوب لأنهم وجدوا فيها مأرب، من جهة فهي مضيضة للفضلاء ومأوى لعابري سبيل، وكتاب لحفظ القرآن الكريم وترديده وتعليمه ومدرسة لتعليم الشريعة الإسلامية ودار للصلح وعقد قران الزواج ثم هي مكان للاعتكاف وذكر الله سبحانه وتعالى، وكان بالزوايا وبعدها تخصصت كأماكن التعلم والتعبد لخدمة واحدة رجعت إلى الحلة التي كان عليها المسجد

النبي الشريف حيث كان يقوم بإعمال متعددة⁽¹⁰⁾.

3- أنواع زوايا القرآن:

زوايا القرآن في الجزائر ثلاثة أنواع تختلف في الشكل وتتفق في الهدف والمضمون⁽¹¹⁾، وهي زوايا المشايخ، زوايا المرابطين، وزوايا الطلبة:

• النوع الأول:

زوايا المشايخ:

وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي، وصاحب هذه الزاوية يكون عادة صاحب الطريقة الذي يعطي الأوراد أي (الميثاق)، وهذا الشيخ له أتباع ومريدون ويسمون (الإخوان)، والزاوية تقوم على أكتاف هؤلاء المريدين والمحسنين، وهم الذين يمولونها ويجمعون لها الزكاة والصدقات والتبرعات من الشعب ويقدمونها للشيخ، والشيخ هو المشرف والمسؤول على زاويته، وهو صاحب الحل والعقد فلا حق لأي إنسان أن يتدخل في شؤون الزاوية من قريب أو من بعيد.

فالأموال التي تدخل إلى الزاوية تذهب إلى الشيخ مباشرة يتصرف فيها بمعرفته،

فلا أحد يحاسبه عليها أو يراقبه، وهو الذي ينفق على الزاوية ويوفر للطلبة كل حاجتهم اللازمة، كما يدفع أجرة الشيخ أي (المعلم)، وهو صاحب الزاوية الذي يعين المعلم أو يعزله حين يشاء وكذلك يعين المواد التي تدرس للطلبة، كما يشارك عادة في التدريس ويعطي الدروس. وكل شيء يخضع لتقاليد الزاوية. فإذا مات الشيخ استخلفه أحد أفراد عائلته أخاه أو ابنه، إما عن طريق الوصية أو تختاره العائلة وترشحه لمنصب شيخ الطريقة ويخلف الشيخ الراحل، وذلك حسب تقاليد الأسرة، إذن فالمنصب وراثي يرثه الابن عن الأب والشيخ هو الذي يضع لها القوانين التي يراها صالحة للتسيير، ويختار بعض الطلبة الذين يرى فيهم القدرة والاستقامة، يكلفهم بمراقبة وتسيير الطلبة، ويكون هؤلاء منفذين لأوامر الشيخ، وهم عبارة عن هيئة التنفيذ يسمونهم المقاديم – جمع مقدم- وهم مكلفون بالنظام والتسيير ومراقبة أخلاق الطلبة وسلوكهم داخل الزاوية، ومراعاة أوقات القراءة، محافظة على الوقت ويلاحظون من تخلف عن الصف أي تجمع الطلبة في أوقات القراءة والدرس أو صلاة الجماعة أو قراءة حزب

صاحبها كما يشاء وبعضهم يعيش هو وعائلته من موارد الزاوية، أما زاوية المرابطين فهي ملكية جماعية فمواردها محبسة على طلبة العلم، فالمرابطون أحفاد المؤسس الأول للزاوية لا حق لهم أن يأخذوا شيئا من أموال زاوية جدهم، والزكاة والصدقات والتبرعات والنفقات والهبات سواء أكانت نقودا أو حيوانات هي للزاوية، وحق طلبة العلم والفقراء الذين يقصدونها.

كما أن زوايا المرابطين ليس طريقة صوفية ولا مريدون كزوايا المشايخ، ويمكن أن نقارن نظام زوايا المرابطين بنظام لجان المساجد المعمول به حاليا في الجزائر، ولاسيما بعد الاستقلال. فهؤلاء المرابطون يعملون بدون مقابل رغم فقرهم واحتياجهم، فهم يحرصون كل الحرص على تعمير تلك الزوايا محافظة على كتاب الله العزيز، تماما مثل أعضاء لجان المساجد الذين يعملون مجانا ويبذلون جهودهم وينفقون طاقاتهم ويضحون بأوقاتهم، فيجمعون المال من المحسنين لبناء المساجد وتعمير بيوت الله⁽¹²⁾.

الراتب، وكل من يتخلف عن هذه أو يتغيب بدون عذر أو استشارة (المقدم)، يتعرض لعقوبة مالية أو بدنية حسب قانون الزاوية المعمول به.

لزوايا القرآن نظام داخلي كنظام الثانويات، فالطالب يتعلم ويسكن ويأكل مجانا (لا يدفع شيئا)، والزاوية هي التي تتكفل بجميع النفقات ما عدا لباسه، وهناك من يقول من أين لهم بالمال؟ فالمال يأتي من تبرعات المؤمنين وصدقات المحسنين الذين يحبون القرآن الكريم ويتعاطفون مع طلبة القرآن. فالقرويون لا يبخلون بما عندهم من دراهم وحبوب وحيوانات، يساعدون بها زوايا القرآن والعلم في سبيل الله وحباً في كتاب الله تعالى وتقديراً لدينهم. ومن بين زوايا المشايخ المشهورة زاوية الهامل ببوسعادة، زاوية الحملوي بقسنطينة، زاوية ابن سحنون بأغزر أمقران ولاية بجاية.

النوع الثاني:

• زوايا المرابطين:

تختلف عن زوايا المشايخ في بعض الجوانب التنظيمية، فزاوية الشيخ ملكية خاصة كما تقدم يتصرف فيها

دراسات

الطلبة مباشرة⁽¹³⁾. فمسؤولية الوكيل هي مسؤولية اقتصادية وإدارية، أما شؤون التعليم فموكلة لشيخ الزاوية (المعلم). فالوكيل له سلطة مطلقة في تسيير شؤون الزاوية المادية، ما دام مستقيماً ملتزماً ومحترماً لتقاليد الزاوية وعاداتها، فإذا انحرف أو قصر في عمله اجتمع مجلس المرابطين للنظر في تصرفاته المخالفة للنظام، فإذا وجدوه مقصراً أو منحرفاً عن جادة الصواب عزلوه وعينوا وكيلاً جديداً خلفاً له، وهذا بعد استشارة مجلس المرابطين وموافقته بالإجماع على المعزول والمستخلف معاً، فيتم العزل والتعيين في جو ديمقراطي تراعي فيه المصلحة العامة وتفضل مصلحة الزاوية والطلبة على جميع المصالح، تقديراً لمقام القرآن والعلم وحفاظاً على سمعة الزاوية ومكانتها في المجتمع، وضمان الاستقرار والاستمرار وتأدية رسالتها الدينية والثقافية والتربوية والاجتماعية.

النوع الثالث:

• زوايا الطلبة:

هي فريدة من نوعها ووحيدة في القطر الوطني، وهي زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي، حيث تختلف زاوية الطلبة

فهذه الزوايا أسست من أول يومها للتعليم، يقصدها أبناء المسلمين لحفظ القرآن الكريم وتجويده وحفظ الأحاديث النبوية الشريفة وتعليم اللغة العربية، كالنحو والصرف والفقه والتوحيد.

• نظام زوايا المرابطين:

تسير هذه الزوايا جماعياً ونظامياً يشبه البرلمان العصري، إذ نجد كل عائلات المرابطين المنتمين إلى المؤسس الأول للزاوية، لها الحق في إبداء الرأي والتسيير والمعارضة إن رأت أن شيئاً لا يعجبها أو لا يرضيها، وكل عائلة لها عضو في مجلس المرابطين يمثلها فلا أحد يستطيع أن يعمل شيئاً أو يفرض رأيه إلا باتفاق الجماعة أو بأغلبية الأصوات، ولهذا المجلس رئيس يسمى (الوكيل)، أي وكيل المرابطين أو وكيل الزاوية، يعين من طرف المرابطين ويخولون له السلطة ويكون المسؤول المباشر داخلياً وخارجياً ويعتبر أيضاً أمين المال، فالطلبة عندما يحتاجون شيئاً يطلبونه من الوكيل المتصرف.

وموارد الزاوية من النذور والهبات، إذا كانت نقوداً دفعت للوكيل أما إذا كانت حبوباً أو زيتاً أو حيوانات فتذهب إلى



وهو ثمن رمزي يدفعه الطالب الجديد الوافد للزاوية ثم يقرؤون له الفاتحة ويدعون له بالخير والنجاح، وذلك هو القبول والتسجيل، فإذا انتهى الطالب إلى إحدى الزوايا أصبح من طلابها وله أن يغادرها متى شاء أيضا، فلا أحد يمنعه من ذلك ولو شاء لبقى فيها طول حياته.

كان هذا في الماضي أين تعطى للطلبة نصيب من الحرية بهدف استقطاب أكبر عدد ممكن من الطلبة، أما في وقتنا الحالي فهناك إجراءات للالتحاق بالزوايا أكثر منها إدارية رغم أنها مفتوحة أمام كل الناس وتقبل جميع الراغبين في التعليم، وليس هناك حواجز خاصة في المستوى، لكن حسب الملخص المفصل من القانون الأساسي للزوايا⁽¹⁴⁾ الذي يضم شروط الدخول أو القبول تتخلله 05 مواد (المواد 63 - 64 - 66 - 68 - 69).

- ◆ ملف التسجيل في المادة 69.
- ◆ شروط الآداب العامة في الزاوية (المادة 71).
- ◆ شروط العطل والغيابات بالنسبة للعطل 07 مواد المواد 81 - 82 - 83 - 84 - 85 - 86 و 87).
- ◆ الغيابات فتنحصر في 03 مواد

عن زوايا المشايخ وزوايا المرابطين، فطلبها يتمتعون بالاستقلال في تسيير المؤسسة، فلا يتدخل أحد في شؤونهم وشؤون مؤسساتهم، فالطلبة وحدهم هم المسؤولون عن الزاوية وتسيير شؤونها داخليا وخارجيا، أدبيا واقتصاديا، فالزاوية بعيدة عن الضغوط والتدخلات فهي تسيير من طلبها المنتمين إليها ولهم وحدهم السلطة الكاملة في تسيير الزاوية، فلا تخضع لشيخ أو مرابط وحتى للشيخ الذي يعلم فيها، فالشيء الوحيد الذي يخضع له الجميع ويمثلون له ولا يخالفونه أبدا هو قانون الزاوية أو ما يمكن أن يطلق عليه اللائحة الداخلية للزاوية.

4 - كيف يلتحق الطلبة بالزوايا:

عندما يرغب الطالب بالالتحاق بإحدى هذه الزوايا، فإذا كان راشدا جاز له أن يطلب الانتساب بنفسه ويطلق عليه «الإسكان»، والإسكان يعني الانتماء إلى الزاوية والانخراط في نظامها، أما إذا كان صبغيا صاحبه أبوه أو أخوه، فيجتمع الطلبة بطلب من «المقيم» وبحضور الشيخ ثم يدفع ولي الطالب الجديد حق «الإسكان» و«التسجيل»،

(المواد 89 - 90 و 91).

♦ شروط العلاقات بين الزاوية والأولياء (المواد 92 - 93 - 94 و 95).

♦ نظام الدراسة (المواد 96 - 97 - 98 - 99 - 103 - 104 - 109 و 110).

• النظام الداخلي للزوايا:

لكل زاوية من الزوايا نظام داخلي على شكل مجموعة من القوانين غير مكتوبة في السابق، ويعرفها الطلبة عن طريق السماع والممارسة اليومية حتى صار محفوظا ومعروفا لدى جميع الطلبة، وتعتبر هذه القوانين كمجموعة من التقاليد والعادات والأعراف السائدة في مختلف الزوايا، ولكن تختلف هذه الأعراف من زاوية لأخرى حسب المناطق والجهات، نجد الطلبة يبالغون في احترام وتقدير هذه الأعراف التي أكثرها مستمدة من آداب ديننا الحنيف وشريعتنا المطهرة وأصالة مجتمعنا الإسلامي، المتمثلة في الإخلاص والفضيلة والسلوك القويم، فالطالب يعاقب ويحاسب عن جميع التصرفات السيئة ومخالفته لعرف الزاوية.

فالعقاب فيه ثلاثة أنواع: النوع الأول؛ الطرد من الزاوية أو كما يسمونه

(النفى) وهذا يطبق في الزنا واللواط والسرقة وشرب الخمر، وهناك عقاب مالي لسب الملة وشتيم الغير والنميمة والتجسس والتدخين في الزاوية أو في السوق والأماكن العمومية والاعتداء على الغير باليد أو اللسان وكل الأعمال التي تؤدي الغير، وهناك عقوبة بدنية لمن تخلف عن صلاة الجماعة بدون عذر أو تغيب في وقت القراءة عندما ينادي (بالصف)، أي التجمع، وكل الأعمال التي تخل بالوقار والاحتشام وآداب السلوك، كالضحك والعبث والهزل في غير محله كوقت العمل الذي يتطلب الجد أو في المجالس والاجتماعات وغيرها من المرافق التي تتطلب الآداب والاحترام، وكل من يخالف أدب السلوك العام يتعرض للعقاب البدني. وهكذا يتربى الطالب في الزاوية على أدب السلوك والحياء والاحتشام والنظام والصرامة والتزام الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن، حتى تراه يحافظ على سمعته أكثر مما يحافظ على حياته، وتراه دائما ملتزما لآداب السلوك أينما كان.

والنظام الداخلي للزوايا في وقتنا الحالي مختلف عن ما كان عليه سابقا، حيث أصبحت الزوايا تسير من طرف

جمعيات دينية، لذا نصت القانون الداخلي وأصبح مكتوباً تتخلله مجموعة من المواد.

أ- مجلس المحاكمة:

للطلبة رئيس يسمى «المقدم» يشرف على شؤونهم ويراقب أعمالهم داخل الزاوية، ويسجل عليهم كل المخالفات والأخطاء التي يرتكبونها عمداً، والطلبة لهم اجتماع أسبوعي بهم. يجتمعون مساء كل يوم الأربعاء بعد صلاة المغرب، للنظر في الشكاوي والأخطاء والمخالفات للنظام والقانون، فيعلن المقدم عن هذا الاجتماع فيحضره جميع الطلبة، ومن تخلف بدون عذر ومن غير طلب الإذن من المقدم تعرض للعقوبة، وفي هذا الاجتماع تطرح كل المشاكل الأسبوعية.

ب- نظام الاجتماع:

يجلس الطلبة على شكل حلقة يتوسطها المقدم، فإذا حضر الطلبة جميعاً افتتح الجلسة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، ثم يشرع في تقديم الشكاوي فيقول فلان اشتكى من فلان فيطلب من المدعي أن يشرح قضيته أمام الجميع، قبل أن يتكلم يصلي على النبي ﷺ ثلاث مرات، فإذا

انتهى أعطى الكلمة للمدعي ليدافع عن نفسه، فإذا سمع المجلس من الخصمين أصدر الحكم على الظالم، وإذا كانت القضية فيها غموض أو التباس ولم يظهر الحق ولم تتجل الحقيقة، هناك من يكون الحكم بالاجتهاد فيبدأ (المقدم) من اليمين ويسألهم واحداً حتى ينتهي بالآخر الجالس على يساره، كل واحد يدلي برأيه ثم تجمع الأصوات ويكون الحكم بالأغلبية.

ج- المحافظة على أحباس الزاوية:

إن المراقبة الشديدة والمحاسبة العسيرة تجعل الطالب يشعر بالمسؤولية⁽¹⁵⁾، والمحافظة على أموال الزاوية حتى لا تفسد ولا تضيع ولا تبذر، فأموال الزاوية مقدسة، لأنها مال محبس ومال الجماعة، فترى الطلبة يحافظون عليها أكثر مما يحافظون على أموالهم، من كسر شيئاً يعوضه، أي يدفع ثمنه.

ومن بين زوايا المرابطين المعروفة في منطقة القبائل: زاوية سيدي بهلول بعزازقة، زاوية الشيخ أمقران بمقلع، زاوية سيدي علي أويحي ببوغني، زاوية سيدي منصور بواقنون، زاوية سيدي وإدريس ببوزقن... الخ.

5- الزوايا في منطقة القبائل:

تعرف الزاوية في منطقة القبائل بتسمية «ثمعمرت»، المشتق من الفعل «عمر» ومصدره «عمارة»، وقد ورد مصدره في القرآن الكريم في قوله تعالى: «هو أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها»⁽¹⁶⁾. ومصطلح العمران أشمل وأدق لموافقته نص القرآن⁽¹⁷⁾.

أما هانوتو ولوت ورنو فقد أعطيا معنا آخرًا للزاوية في هذه المنطقة، إذ يقولان في هذا الصدد: «كثيرا ما وقع الخلط بين الزاوية وبين المدرسة التعليمية المسماة «ثمعمرت»، بينما هما مختلفتان، فهناك عدد من الزوايا لا يوجد فيها تعليم، حقا أن معظم المعمرات هي بجانب الزوايا فالزاوية عند القبائل هي قرية يسكنها المرابطون ويسمونهم باللهجة المحلية «ثاذاويث»، وهؤلاء المرابطون يسكنون حول «ضريح وقبة»⁽¹⁸⁾.

نفهم من هذا التعريف بأن المعمرة هي مكان عامر بالطلبة ويكون فيها تعليم القرآن، بخلاف الزاوية فقد لا يكون فيها تعليم وتحفظ بتسميتها بمجرد استقرار المرابطين فيها أو حولها. فثمعمرت هي عبارة عن معاهد لتعليم القرآن الكريم

وحفظه أو لدراسة العلوم، وقد انتشرت هذه المعاهد في القبائل الصغرى والكبرى وكانت لها أحباس هامة وقوانين داخلية حكمة، وهي تمتاز عن نظم الزاوية، إذ أن الزاوية تخضع في الغالب لتصرف شيخ الطريقة أو مقدميه، في حين أن لهذه المعمرات قوانين داخلية وصارمة في بعض الأحيان.

عرفت منطقة القبائل انتشارا كبيرا للمؤسسات الدينية التعليمية بين الزوايا والرُّبَط، والمعمرات التي تعني عند الأهالي المكان العامر بالفضائل والكرامات، ولم نقف على تاريخ محدد لظهور هذه المعمرات في المنطقة، لكن ذلك لا يمنع من اعتبار المسجد أو الكتاب هو النواة الأولى لتبلور معانها وتشكلها بصورة الحالية، وعليه فإنه يمكن الحديث عن النشأة المبكرة لهذه المعمرات وربما مع البدايات الأولى للفتح الإسلامي.

إلا أن اصطلاح «المعمرة» أو «الزاوية» بالمفهوم الحديث يضطربنا إلى البحث عن تاريخ محدد لظهور أول مؤسسة من هذا النوع، ونظرا لكون المعمرات في أصل نشأتها كانت مراكز للرباط، بحيث تستعمل قواعد للدفاع أو للجهاد، فذلك

6- دور الزوايا في المجتمع القبائلي:

تحضي الزوايا في المجتمع القبائلي بالتقدير الكبير والاحترام تقديراً لها على الدور المتميز الذي تؤديه اجتماعياً وسياسياً ودينياً، فمن الزوايا يتخرج عمار المساجد المؤطرين لعمارتها الذين يكونون دعاة وقضاة لفض الخصومات بين المتخاصمين، لأجل إنقاذهم من تعسف المحاكم الاستعمارية الفرنسية، وعبث السلطات الاستعمارية، فكان للائمة دور الإصلاح بين المتخاصمين وربط صلات المودة وروح التعاون بين أفراد المجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بالإمامة ومعالجة كل الأمور التي تطرأ على لمجتمع.

ا- الدور التعليمي: إنه ما كان

للزوايا القيام بالدور الريادي والقيادي للمجتمع لو لم يكن للزاوية الجهود المشكورة والمسامي المحمودة التي بذلتها في ميدان تكوين البنين، وإعداد الأئمة وتخرج حفظة كتاب الله والدعاة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والافتداء بشيوخ الزوايا في معاملاتهم وسلوكاتهم والحفاظ على مكانتهم المتميزة، ولطلبهم في المجتمع الذي ينتظر من هذه الزوايا

يؤكد على حتمية قدمها ورجوعها إلى بدايات القرن الثاني أو الثالث الهجري، وبدأ انتشار هذه المعمرات أو الزوايا في المنطقة ابتداء من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بشكل ملفت للانتباه، وهي ميزة عرفت الجزائر بشكل عام في هذا القرن، حيث ساد ظهور المرابطين وانتشار الرُّبُط⁽¹⁹⁾.

وبداية عهد التصوف العلمي، ومن أهم زوايا بلاد القبائل التي ظهرت في هذا القرن: زاوية شرفاء سيدي بهلول بعزازقة، زاوية سيدي أعمر ولحاج اليجري ببوزقان ومعظم هذه الزوايا للمرابطين، وهي غالباً ما تحتضن ضريح شيخها المؤسس وبعض شيوخها وطلبته وهو ما أدى إلى اعتقاد العصمة في الشيخ وقدسية الزاوية، ومن أهم الزوايا المعروفة بالقداسة وعصمة شيخها زاوية الشيخ أمقران بأيت زلال بمقلع التي تأسست في القرن العاشر هجري من طرف سيدي أحمد أوديغ، وتعددت الأساطير عن شخصية الشيخ أمقران الذي قيل عنه أنه يطير ويتنبأ بالمشاكل والصعوبات.

يلتزم به الجميع إعدادا للفرد على تحمل المسؤولية والشعور بواجب التعاون، والشعور بروح المسؤولية الفردية والجماعية والامثال للنظام والمساواة أمام القانون.

ب- الدور الديني: أنشأت الزوايا على العموم بعيدا عن المدن وبعيدا عن ضوضاء الحياة الدنيوية، والزوايا تعطي الأولوية دائما لمظاهر الحياة الدينية المختلفة التي تفرض الاعتكاف والانعزال الروحي، فهي تسمح للمنخرطين فيها تحقيق وجود ظاهري نقي، وتطور الحياة الدينية للجماعة، وتنظمها بدقة في شكل تقوى منهجي يسعى من خلاله إلى الخلاص المستقبلي.

لقد لعبت الزوايا دورا بارزا في نشر الإسلام وترسيخ قيمه، وفي التربية الروحية والثقافة الدينية والإصلاح الاجتماعي، وفي مقاومة الغزو الاستعماري. مهما تكن الاقترابات الموجهة للمرابطة، بسبب بعض التقنيات أو الممارسات الشعائرية لبعض الطقوس التي يراها الخصم كبداية توبخية، أو كبعض التجارب الصوفية المحكوم عليها بالشذوذ، فهم لا يعتبرون الزوايا أنها تمثل أماكن سامية من

مدته بالقادة الروحيين والمرشدين الهداة والمعلمين لأبنائهم. فقام التعليم في الزوايا بالاهتمام بالعلوم الدينية والدنيوية، والتربية التي تحفظ القيم الروحية والوطنية والهوية، ومقاومة الغزو الثقافي، ورد حملات المبشرين الذين يسعون بكل ما أوتوا من طاقة إلى تنصير الجزائريين ومسح شخصيتهم⁽²⁰⁾.

يأتي الطلبة للانتساب إلى الزاوية من غير تمييز طبقي أو جهوي أو حرفي، فكل راغب في الانتساب يقبل من غير تحديد في العمر، إلا أنه غالبا ما يكون الاستقبال ممكنا للذين مروا على المساجد وحفظوا نصيبا من القرآن الكريم، ولقد كان التعليم في الزاوية مجانا في نظام داخلي متكفلا بالطالب إيواء وإطعاما، وكانت الأعمال الداخلية مقسمة بين الطلبة بحسب طاقة كل فرد، فما يكلف به الطالب المتقدم في العمر لا يكلف به الطالب الصغير، وهناك أعمال داخلية يقوم بها الطلبة الصغار وأعمال يقوم بها الطلبة الكبار، وهي في عمومها تعود بالفائدة على الطالب دون سواه، ويتم كل ذلك في نظام داخلي محكم متوارث

الروحية الإسلامية، وتساهم في إدخال عاطفة حية وثابت هام للتطهر العقلي والخلقي. فالزاوية تعتبر معلم في الحياة الدينية والاجتماعية للأفراد⁽²¹⁾.

ج- الدور الثقافي: لابد أن نشير إلى أن الوظيفة الدينية للزاوية موضحة بالوظيفة الثقافية، لذا يمكن أن نقول أن الزوايا بمثابة مدارس، وتكمن وظيفتها الأساسية في الحفاظ المميز والمعرفة الجيدة للنص القرآني وإعطاء لشباب القرية والقبيلة تربية إسلامية قاعدية (ذات قاعدة متينة)، خارج عن الوظيفة الدينية للمرابطين، يمكن أن تكون الدراسات الموجزة للأنصار السابقين لفقه المملوكي، مثل المختصر المصري خليل بن إسحاق توفي في 1374م، معروفة في الجزائر بتسمية سيدي خليل موجز على شكل استمارة طقسية ومبادئ تأهيلية قانونية ضرورية للمسلمين في ممارساتهم الدينية، حياتهم الفردية العائلية والاجتماعية، فمن النادر أن يتم تدريس الأحاديث مثل أحاديث أنس بن مالك توفي في 795 هـ.

إذ نتقبل بعض الزوايا المرابطية مثل زاوية الهامل (أنشأت حوالي 1850م قرب

بوسعادة)، وبعض الزوايا في منطقة القبائل التي تحفظ تقاليدھا على مدرس للغة العربية له مستوى مشرف، وفي غالب الأحيان فإن المرباطين لا يهتمون بدراسة وتدريس الأدب الكلاسيكي ولا بالدراسات العربية المعاصرة.

د- الدور الاجتماعي: للزوايا دائما دورا اجتماعيا لا يمكن إهماله، فمن البديهي أن الوظيفة الاجتماعية للزاوية كإشعاع ثقافي متعلق بشدة بشخصية رئيسها المرباط أو حاكمها أو المقدم، بعض المرباطين أحدثوا عناية إلهية لدوارهم وقبائلهم في فترة كان فيها السكان في الأرياف والجنوب تحت إدارة الخضوع التعسفي للقوي، وهو ما يوضحه سعيد بوليفة بقوله: «... في جرجرة كما هو الحال خارجها، وفي أعالي السيباعو عدة قبائل قد ثارت ضد النظام الإقطاعي لأسياد كوكو، ومن أجل التخلص من جور وطغيان بلقاسم والقاضي، وطالبوا الحماية من المرباطين الذين أعلنوا أنفسهم كمدافعين عن الضعفاء في القرن 16»⁽²²⁾. فالزوايا الأكثر ازدهارا والأكثر انشغالا بتقاليدھا المشهورة، قد تمكنت من تأسيس مذهب جماعي قائم على الرقابة من طرف أساتذته أو مدرس

7 - تأثير الزوايا في منطقة القبائل:

لقد شهد الكثير من الوجهاء والأعيان الذين حاولنا استجوابهم في أماكن مختلفة، أن الزوايا القرآنية قد قدمت خدمات جليلة في أشكال متعددة، وفي كل جوانب الحياة باعتبارها مركز الإشعاع بالوعي الوحيد دون منافس بالنسبة لسكان هذه المنطقة ولمدة ستة قرون على الأقل، ومن الخدمات نذكر:

1- في جانب التعليم:

لقد كانت الزوايا وحدها لعهد طويل جدا حاملة مشعل العلم والتعليم، فلا يذكر عالم أو متعلم تدرج شيئا ما في سلم العلم إلا وكان متخرجاً في زاوية ما في مرحلة من مراحل تعلمه، ونكتفي هنا بذكر أبرز العلماء خلال العهدين العثماني والفرنسي، الشيخ محمد بن عبد الرحمان بوقبرين (صاحب الطريقة الرحمانية في إفريقيا)، والشيخ محمد بن زكري مفي العاصمة، والشيخ أرزقي الشرفاوي، شيخ زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي وغيرهم... وهو ما اعترف به الكاتب الفرنسي مارسيل أمريت قائلا: «كان العربي الجزائري عام 1830م يعرف القراءة والكتابة، ولكنه أصبح يتخبط في ظلام الجهل، عندما

القرآن، وعرف الأجداد (قوانين في بلاد البربر) حكم غير قابلة للنقاش من طرف رئيس المرابطين، فقد أرغمت على تحضير وتطوير السكان الجبليين، وهذا بغرس مبادئ وأخلاق اجتماعية ضرورية. قائمة على احترام الكلمة المعطاة، استضافة الغريب، العدالة، فضيلة التسامح، زرع الخير وضمان الاستقرار في الأرياف، وشجعت الترقية الإنسانية والفكرية للسكان غير المحظوظين، حيث تعتبر المؤسسات الوحيدة التي تحمل هذه المزايا.

بعض هذه التوضيحات حول الوظيفة الاجتماعية للزاوية حقيقة، في حالة ما إذا كان المرابط عادل قديس حقيقي، يكون الذين يتبنونه مخلصين ويسلكون نهج رئيسهم الروحي بوفاء⁽²³⁾. ويظهر الدور الإيجابي للزوايا الريفية في التعليم على وجه الخصوص، فقد كانت بالإضافة إلى وظيفتها الدينية، معاهد لتعليم الشبان وتنوير العامة، وكانت الزاوية الريفية تشمل أيضا مسجدا أو قبة للشيخ المرابط ومبنى للطلبة الداخليين ومساكن للغرباء والفقراء، وقد اشتهرت بعض الزوايا والخلوات الريفية حتى أصبحت محجة للزوار والطلبة⁽²⁴⁾.

مزارا للعديد من الزوار قصد الاستفادة من كلامه ونيل بركاته، لكن سكان القرية لم ينظروا إلى نشاطه بعين الرضا لما كانت تسببه حيواناته ودواب الزوار من أضرار لزراعتهم، ولما أبلغ السكان هذا الانشغال إلى الولي سيدي منصور غضب غضبا شديدا، واعتبر الأمر إهانة له مما جعله يقرر الرحيل إلى مكان آخر، ولما سمعت نساء أهل «إيعكورن» بقرار سيدي منصور أسرعن إليه يحاولن إقناعه بالعدول عن الرحيل ورغم تأثره بموقفهن، فقد صمم على الرحيل بعد أن دعا لهن بالخير وعلى أزواجهن بالشر لإهانتهم له مما أعطى لهن مكانة مرموقة في المجتمع، وما زال بعض العوام يعتقد أن بركة الولي مازالت تغمر نساء «إيعكورن» مقابل ملاحقة لعنة الولي لرجالهن⁽²⁸⁾.

وعلى إثر ذلك غادر سيدي منصور هذه القرية بعد أن قضى فيها حوالي عامين كاملين، قاصدا قرية «تيميزارت» الكائنة بعرش آث جناد ومعه أربعون حارسا (أمنيعة)، وهناك حظي باستقبال حار ونصب خيمته بمكان يدعى الحمام، ثم سرعان ما صار منزله مزارا من جديد ليس لأهل آث جناد فقط، بل لكل

مضى نصف قرن على الاحتلال ولم تعرف المنطقة مدرسة فرنسية إلا في نهاية القرن التاسع عشر، وكان دخولها ضئيلا جدا ولم تفتح أبوابها إلا لفئة معينة... أما أغلبية الناس فقد رفضوها كما رفضوا أهلها⁽²⁵⁾، ويقول مصطفى الأشرف: «كان السكان يلزمون الحذر من التعليم الفرنسي رغم ندرته واقتصراره على الصفوة المختارة، وهذا بسبب صحوة الثقافة العربية نسبيا والذي لعبت الزوايا دورا كبيرا في ذلك»⁽²⁶⁾.

والذي يهمننا في هذا الاعتراف هو إثبات الشهادة على فضل الزوايا في إحداث الحصانة والمناعة ضد ما يأتي به العدو، ولو كانا في هذا الشيء محتاجا في ظاهره، ولعل حجة الناس في ذلك آنذاك أن السم يمزج بالعسل والطعم يشهي الطعام... والاستثناء كالشاذ عن القاعدة يحفظ ولا يقاس عليه⁽²⁷⁾.

8 - نموذج لزواوية مرابطة سيدي منصور بتميزارت :

لقد نزل سيدي منصور أول الأمر في قرية «إيعكورن» بدائرة «عزازقة» بمكان يدعى «زجيفة» وذلك في القرن الخامس عشر الميلادي، وسرعان ما صار منزله

دراسات

في منطقة الحمام فاستقبله بلطف دون أن يحسن ضيافته، ثم سأله الولي الصالح قائلاً: أما أنا فلا يعجبني إلا القوال (من القول) في الشارع الذي ينهب الغافلين، وتذكر الرواية أنه عندما شدّ الرّحال للعودة إلى حضرته أرسل سيدي منصور رسوله في أثره ليخبره أن أجله قد حان، فتملك الخوف السلطان ومضى مسرعاً إلى منزله وبعد أيام قليلة اغتاله أحد أعدائه بطلقة نارية، وعندما تناهت إلى أسماع أهل تيميزار النهاية المأسوية للسلطان زاد تبجيلهم للولي سيدي منصور⁽²⁹⁾.

ومن القصص والروايات الأخرى المذكورة على لسان الشيخ داوي أحمد بن محمد مسؤول الزاوية في سنة 1911، التي وردت في كتاب «جرجرة عبر التاريخ» للمؤلف سي أحمد سعيد بوليفة والخاصة بكرامات سيدي منصور، أن الأتراك قد اعتادوا على أهل آث جناد -بعد وفاة الولي- لعدم الترخيص لهم باستغلال غابة «ثامقوط» (حكم أزفون)، فعاثوا في المنطقة فساداً بقطع أشجار التين وإتلاف المحاصيل الزراعية، ولما وصل قائد الحملة التركية إلى مكان خلوة سيدي منصور سأل عن صاحبه فأخبره

العروش المجاورة، ولما تأكد من صدق عواطف أهل قرية «تيميزارث»، قرر الاستقرار بها، فتزوج امرأة من أهلها لكنه لم يعقب معها ذكراً.

وفي تلك الأثناء كانت منطقة آث جناد كغيرها من مناطق أزفون خاضعة لنفوذ إمارة كوكو الواقع ركزها في مرتفعات عين الحمام وبالضبط في آث يحيى، وفي ذلك العهد اشتهر سلطانها «أعمر ولقاضي» بالاستبداد، فعانى سكان تيميزارث من بطشه وتعسفه، إذ كلما حل بعساكره بسوق الخميس (سوق الواحد حالياً) كان يثقل كاهل الأهالي بمطالبه الكثيرة، كتوفير المؤن لرجاله والعلف لدوابه بالإضافة إلى تسخير دواب السكان لنقل المحاصيل الزراعية إلى حضرته، وهو الأمر الذي يعرقل نشاط الفلاحين، ولم تنته هذه المعاناة إلا بحلول سيدي منصور بالمنطقة، إذ أمر السكان بعدم تقديم الخدمات له لأن الولي الصالح رأى نفسه أولى بالقدير والتبجيل، ولما حل السلطان بالمنطقة تعجب من سيدي منصور الذي حلّ بالمنطقة حديثاً هو الذي أمر السكان بالإحجام عن تقديم المؤن له كما جرت العادة، فغضب السلطان ثم قصد منزل الولي الصالح



سيدي منصور لم يعقب ذكرا، لذلك تولت أسرة داوي الرشيد أمر تسييرها وصنفت المسؤولية بموجب القانون الداخلي على النحو التالي⁽³¹⁾:

أ- المقدم: تشبه مهامه مهام مدير الدراسات في الثانوية حاليا، ويتناوب طلبة الأقسام العليا على هذا المنصب الذي يسهر صاحبه على تلقين الدروس لطلبة الأقسام السفلى، وعلى مواظبتهم على قراءة القرآن وأداء الصلوات الخمس في أوقاتها وعلى تطبيق القانون الداخلي على الطلبة، وتتراوح العقوبات بين غرامة مالية متفاوتة المبلغ حسب حجم المخالفة، (التأخر عن الدروس، إثارة الفوضى، عدم المواظبة على أداء الصلاة في أوقاتها، رفض تنفيذ المهام المسندة للطالب، كجمع الزيتون مثلا، التجوال في أزقة القرية، تناول الكلمة في اجتماع بدون إذن وتبذير الأرزاق)، وبين الطرد النهائي من الزاوية في حالة ارتكاب مخالفة خطيرة (مكالمة امرأة خارج الزاوية، النزاع والتشابك بالأيدي بين الطلبة، التخاصم مع أهل القرية والسرقة...) وترفع قضايا الطرد وجوبا إلى شيخ الزاوية الذي يتولى إعلان قرار الطرد بمعية أربعة أعيان من القرية،

به، وفي صباح اليوم الموالي انتشر مرض الطاعون بين جنوده فأهلك منهم الكثير، مما أرغمه على رفع الحصار والانكفاء راجعا إلى الجزائر المدينة، كما حدث ذات يوم أن أضرم أحد السكان الناري في حقول القرية فأحرقت أشجارها باستثناء تلك الأشجار المحيطة بخلوة سيدي منصور، وبعد أيام من تلك الحادثة قتل الفاعل الذي أضرم النار بصاعقة أصابته⁽³⁰⁾.

ومهما كان أمر كرامات سيدي منصور، فإن أهم انجاز حققه هوبناء «ثيمعمرث»، أي الزاوية لتعليم القرآن واللغة العربية والفقه بالدرجة الأولى، ثم رعاية المجتمع بنشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحل النزاعات بين المتخاصمين والدعوة إلى التعاون والرحمة، وقد استطاع المرباطون الأشراف بفضل هذه الأعمال الخيرية أن يوفرُوا الأمن والاستقرار للأهالي وأن ينشروا الطمأنينة بينهم، مما جعل المجتمع يحافظ على توازنه.

وقد بنيت زاوية سيدي منصور على أساس «التسيير الذاتي»، الذي يتداول عليه الطلبة شهريا في إطار مجلس التسيير، ومما تجدر الإشارة إليه أن

تشكل مرجعية روحية لسكان المنطقة، وهذا رغم تحفظ مشايخها من الحركة الإصلاحية الدينية التي بلغ مداها إلى أزفون بفضل علماء أجلاء أمثال: الشيخ أبويعلو الزواوي وبعزيز بن عمر، والشيخ محند وأعمار (سادو)، الشيخ الطاهر صاحب زاوية ثمليلين ومحمد الصديق فراد والشيخ محند والحاج رحمان، والشيخ بشير الصديق، والشيخ أرزقي الشرفاوي خريج جامع الأزهر الشريف الذي عاد إلى أرض الوطن سنة 1933⁽³²⁾.

بعد اندلاع الثورة سنة 1954 واشتداد أوزارها، قامت فرنسا بغلق الزاوية ثم حولتها إلى ثكنة عسكرية واعتقلت الشيخ محند الشريف الذي عذب في سجن تيزي وزو، ولم يخرج منه إلا بعد أن سعى له الشيخ الصديق أمسون إمام مسجد تيزي وزو لدى مسؤول الكنيسة، وشرح له بأن اعتقال رجال الدين من طرف الجيش الفرنسي أمر خطير ينجم عنه رد فعل عنيف ضد رهبان الكنيسة، ولما شعر مسؤول الكنيسة بالخطر الذي يهدده سعى لدى الإدارة الفرنسية لفائدة الشيخ محند الشريف، فأفرج عنه ونفى من منطقة القبائل، فقصد حي العناصر بمدينة الجزائر وظل هناك

كما تعرض عليه القضايا الأخرى التي يعجز مجلس التسيير عن الفصل فيها.

ب- منصب الوكيل: تشبه مهامه مهام المقتصد في الثانوية، فهو يسهر على حفظ أرزاق الزاوية وعلى حسن تدبيرها، كما يسهر على تموين الزاوية بالمواد الغذائية وجلب الماء والخطب، وإعداد الطعام للطلبة والضيوف، ويسهر على نظافة الزاوية ورعايتها دوايها، ولتمكين الولي من إنجاز وتنفيذ مهامه على أكمل وجه وضع القانون الداخلي للزاوية طلبية الأقسام السفلى (المبتدؤون) وهم «أقداشن» تحت تصرفه.

ج- أقداشن: وهم الطلبة الصغار المبتدؤون، ومدة هذا الطور حوالي ثلاث سنوات تنحصر مهامهم في تنفيذ الأشغال اليدوية داخل الزاوية أو خارجها، كجمع المحاصيل الزراعية والغلال وجلب الماء وجمع الخطب والطبخ والتنظيف والتكفل بدواب الزاوية وضيوفها، وكثيرا ما يعاني هؤلاء من تجاوزات الأسرة المسيرة للزاوية التي تسخرهم أحيانا لجمع محاصيلها الخاصة، وهو الأمر الذي دفع بالكثير منهم إلى التخلي عن الدراسة. وظلت زاوية سيدي منصور

إلى أن وفته المنية في عقد الستينات من القرن الماضي ثم نقل جثمانه إلى مسقط رأسه بثيمزار⁽³³⁾.

بعد الاستقلال برزت الآثار السلبية لفرض سياسة الإصلاح من طرف الأسرة المسيرة للزاوية فظلت متمسكة بطرق التسيير البالية، كما غابت الشفافية في تسيير الموارد المالية الكبيرة التي تملكها الزاوية والمتمثلة في أراضي الوقف وهبات المواطنين المعتبرة، وعجزت عن إحداث صلاح عميق يجعل الزاوية في مستوى المدرسة الرسمية من حيث الأداء التربوي والتعليمي، لذلك تراجع الإقبال عليها وعزف السكان عن إرسال أبنائهم إليها حتى صارت تعتمد على التلاميذ الوافدين خارج منطقة القبائل إليها، وقد استغل أعيان قرى آث جناد وركود الزاوية للمطالبة برحيل الأسرة المسيرة لها وهي أسرة داوي التي اتهموها باختلاس أموال الزاوية⁽³⁴⁾.

وهو ما تم حيث سحبت الثقة من الأسرة المسيرة ليتوقف إشرافها على هذه الزاوية الذي دام قرونا عديدة لتعوض بلجنة دينية مسيرة. ومهما يكن من أمر فإنه رغم ما رفق نشاط هذه الزاوية من

نقائص فإنها نجحت في الحفاظ على الشخصية الوطنية من مسح الاستعمار الفرنسي، ورغم تقلص دورها بعد الاستقلال بفعل تكفل الدولة الجزائرية بمشاكل المواطنين، وكذا بفعل سياسة ديمقراطية التعليم التي وفرت مقاعد الدراسة في الأرياف والقرى، رغم ذلك فإن الزاوية مازالت قادرة على تقديم خدماتها للمواطنين لتدريس القرآن ونشر الفضيلة من خلال تكريس قيم التضامن والرحمة والتسامح والتعاون، وحل النزاعات بين المواطنين والعمل على نشر القيم الروحية المجددة لكرامة الإنسان.

الخلاصة:

عموما لعبت المؤسسات الدينية الممثلة أساسا بالزوايا أو ثيمعمرين (باللغة المحلية) وحتى المساجد والجوامع وأضرحة أولياء الصالحين، دورا كبيرا في إنتاج وإعادة الممارسات والطقوس الدينية، حيث وأنها اعتبرت فضاءات خصبة تلقى فيها كل أنواع وأشكال السلوكات الدينية في المنطقة، كما ساهمت في إرساء القيم و الثقافة الدينية خاصة الشفوية في نفوس

قائمة الهوامش:

- 1- محمود حمدي زقزوق، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، الإصدار الأول، المجلس الأعلى للشروق الإسلامية، القاهرة، 2000، ص 288.
- 2- Raymond Jamous, Honneur Et Baraka. Les Structures Sociales Traditionnelles Dans Le Rif, édition de la maison des sciences de l'homme, Paris, 1981, P 191.
- 3- Jules Maistre, Mœurs Et Coutumes Kabyles, Imprimerie De La Manufacture De La Charité, Montpellier, 1905, P11.
- 4- Joseph Desparanent, Coutumes, Institutions, Croyances Des Indigènes De L'Algérie, Edition Corboul, Paris, 1919, P108.
- 5- Malek Chebel, Dictionnaire Des Symboles Musulmans. Rites. Mystiques Et Civilisation, Edition Hebain Michel, Paris, 1995, P 451.
- 6- Raymond Jamous, Op-Cit, P 191
- 7- Marcel Simiane, Les Confréries Islamiques En Algérie (Rahmaniya- Tydjaniia), Typographie Adolphe Jourdin, Alger, 1910, P18.
- 8- Edmond Daumas, Les Mœurs Et Les Coutumes En Algérie, Op-Cit, P163.
- 9- محمود حمدي زقزوق، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مرجع سبق ذكره، ص 28
- 10- عبد الرحمان طالب، «نشأة الطرق الصوفية وتدشين الزوايا»، مجلة ثقافية يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2003، ص 48.

الأفراد والجماعات، ما حصن من مكانتها بمختلف أشكالها في الحقل الديني القبائلي.

كما لا بد أن نشير إلى تجليات الممارسة الدينية في هذه الفضاءات، التي أخذت أنماط مختلفة، عبرها عنها (بعض الأنماط الدينية) بالخيال الشعري، الذي كثيرا ما يحطم حدود الواقع بمسلماته المنطقية، ويخلق في أفق المجهول بتداعياته الماورائية الخارقة، مثلما يظهر ذلك من خلال طبيعة الأحداث في القصص الديني أو من خلال الوصف التبجيلي للشيوخ والأولياء والمرابطين في المديح الديني، لقي الشعر الديني القبائلي رواجاً واسعاً في الفترة المرابطية، وتمخضت عن ذلك العديد من الأنماط الشعرية، التي نقلت طياتها تقريبا كل المفاهيم والقضايا المطروحة في المجال الديني.

كل هذه المعطيات، ساهمت بطريقة أو أخرى في ديمومة واستمرار وتحصين مكانة هؤلاء المبجلون في المخيال الاجتماعي المحلي والحقل الديني للمنطقة.

- 23 - دور المرباط بما انه سيد روجي ، رئيس طائفة. حكم ومبرر ، فهو صاحب مصادر الإحسان ، الرزانة. السعي لإحلال السلم والوثام بين أطراف مزقتهم ضغوطات الحقد والكراهية.
- 24 - أبو القاسم سعد الثقافي، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سبق ذكره، ص 269
- 25 - مارسيل ماريت، نقلا عن مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، ص 415
- 26 - نفس المرجع، ص 415
- 27 - عبد الرحمان مصطفىاوي، مذكرة تحسيسية بأهمية الزوايا القرآنية، الجمعية التنسيقية لزوايا القرآنية بولاية تيزي وزو، 2000، ص 15
- 28 - محمد ارزقي فراد، أزفون تاريخ وثقافة ، دار الأمل للطباعة والنشر، والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 99
- 29 - محمد ارزقي فراد، أزفون تاريخ وثقافة ، مرجع سبق ذكره، ص 100
- 30 Said Boulifa، Le Djurdjura A Travers L'histoire، Op-Cit، P136.
- 31 - محمد ارزقي فراد، أزفون تاريخ وثقافة ، مرجع سبق ذكره، ص 101
- 32 - محمد ارزقي فراد، أزفون تاريخ وثقافة، مرجع سبق ذكره، ص 103
- 33 - محمد ارزقي فراد، أزفون تاريخ وثقافة، مرجع سبق ذكره، ص 104
- 34 - نفس المرجع، ص 105
- 11 - محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 1988، ص 103
- 12 - محمد نسيب، مرجع سبق ذكره، ص 106
- 13 - ولا تقتصر واردات الطلبة في هذه الهبات الموجهة إلى الزاوية، بل يتلقون مبالغ رمزية جراء حضورهم للجنائزات أهل القرى، أين يقرؤون القرآن على الميت مع تنظيم حلقات الذكر وهي عادة موجودة إلى يومنا هذا في الأوساط القبائلية.
- 15 - الرقابة في الزاوية شديدة وصارمة ومستمرة ، فالمقدم هو الذي يراقب الطلبة ويعاقب المخالفين وينفذ القانون المعمول به ، لأنه هو المسئول الأول وأول من يجب أن يستيقظ في الصباح ويوقظ الطلبة ، وآخر من ينام فلا ينام حتى ينام الطلبة.
- 16 - سورة هود، الآية 61
- 17 - عبد المجيد حملاوي، « زوايا منطقة القبائل »، الإمام مالك بن انس، مرجع سبق ذكره، ص 12
- 18 Hanoteaux Et Loutournou، La Kabylie Et Les Coutumes Kabyle، Op-Cit، P67
- 19 said Boulifa، Op-Cit، P86.
- 20 - عبد المجيد حملاوي، « زوايا منطقة القبائل »، منبر الإمام مالك بن انس ، مجلة سنوية تصدر من شيخ الزاوية الحملاوية، مرجع سبق ذكره ، ص 13
- 21- Nadir Maarouf، « Mythes Croyances Et Cultures Populaire Au Maghreb »، Pour Une Sociologie Culturelle، Unite De Recherche En Anthriopologie Sociale Et Culturelle، Alger، 1988، P87.
- 22-Said Boulifa، Le Djurdjura A Travers L'histoire، Op-Cit، 186.